

كواليس دعم الولايات المتحدة الأمريكية للخميني

إضاءات على العلاقات الإيرانية مع
الولايات المتحدة و"إسرائيل"



جدول المحتويات

بين يدي السلسلة 2

مقدمة 3

أولاً. العلاقات الإيرانية مع كل من الولايات المتحدة و"اسرائيل" قبل ثورة الخميني 5

1.1. التنازع الدولي على النفوذ في إيران بعد الحرب العالمية الثانية 5

2.1. تعزيز العلاقات مع المعسكر الغربي و"إسرائيل" 5

3.1. تأثير الحكم الفردي للشاه وميوله لنهج استقلالي 7

ثانياً. التأثيرات الأمريكية والإسرائيلية قبيل وأثناء ثورة الخميني 9

1.2. صفقة النفط السرية التي أضعفت حكم الشاه 9

2.2. تأثير صعود اليمين الإسرائيلي على العلاقة بين تل أبيب وطهران 9

3.2. تأثير قدوم كارتر للرئاسة في الولايات المتحدة 10

4.2. التعاون الإسرائيلي ـ الإيراني في المجال العسكري (مشروع الوردة "النفط مقابل السلاح") 10

5.2. هروب الشاه، والتواصل الأمريكي مع الخميني 11

ثالثاً. تأثير الثورة الإيرانية على العلاقة مع كلٍّ من الولايات المتحدة و"إسرائيل" 14

1.3. العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية بعد انتصار الثورة، أزمة الرهائن، وقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين 14

الخاتمة 17

بين يدي السلسلة:

يسعى مركز الحوار السوري إلى تفعيل الحوار بين السوريين بما يسهم في تحقيق الوفاق والانسجام فيما بينهم، وذلك باستخدام وسائل عديدة، منها: زيادة الوعي والمعرفة الواقعية بسلوكيات مختلف الفاعلين المحليين أو الاقليميين أو الدوليين المؤثرين في القضية السورية[1]، لاسيما بعد تعقُّد القضية السورية وكثرة الفاعلين والمؤثّرين فيها.

والولايات المتحدة وإيران من أبرز الفاعلين والمؤثّرين في الملف السوري؛ لأن الولايات المتحدة لاعب في المسرح العالمي، ولأن إيران قوة إقليمية، وقد انعكست التغيرات في العلاقات بين الطرفين على الملف السوري بشكل واضح؛ فعلى سبيل المثال: رأى كثير من المحليين أن الاتفاق النووي الإيراني كان ثاني أسوأ اتفاق أجرته الإدارة الأمريكية السابقة فيما يتعلق بانعكاساته على الملف السوري بعد الاتفاق على تسليم أسلحة النظام السوري الكيماوية[2]، وفي المقابل كان للانسحاب الأمريكي من الاتفاق أثرُه الواضح في التوتر بين البلدين، وما أدى إليه من مناوشات في الخليج وإسقاط الطائرة الأمريكية بدون طيار، وصولاً إلى المناوشات الأمريكية الإيرانية في العراق واغتيال سليماني، وتأثير سياسات "الضغط الأقصى" الأمريكية على لبنان والنظام السوري، وما ترافق معه من تطبيق لقانون قيصر. يدفع كل ذلك إلى ضرورة التعمق في تقصّي وتحليل جذور العلاقات الأمريكية الإيرانية منذ ما قبل الثورة الإيرانية وصولاً إلى الوقت الراهن. ونأمل أن تسهم هذه السلسلة في تقديم نظرة موضوعية واقعية للعلاقات بين الفاعلَين الإيراني والأمريكي، بما يساعد في تهيئة الأرضية الملائمة لفهم أفضل لديناميكات العلاقات بينهما وبين مختلف الفاعلين والمؤثرين الآخرين، بما يحقق زيادة في الوعي والقدرة على تقدير المواقف وبناء الاستراتيجيات الأفضل لقوى الثورة والمعارضة السورية لتحقيق أهدافها في الوصول إلى سورية الحرّة الجديدة وسط زحام التدخلات والمصالح الدولية.

---

(1) وهو ما تركز عليه وحدة تحليل السياسات في مركز الحوار السوري، في تكامل مع وحدة التوافق والهوية المشتركة، والوحدة المجتمعية. يُنظر ملف التعريف بمركز الحوار السوري ووحداته وأهدافه ورسالته على الرابط: https://sydialogue.org/ar/about/1.

(2) وهذا ما انتهى إليه أيضاً عدد من الخبراء والمحللين في ندوة سابقة أقامها مركز الحواء السوري لمناقشة تداعيات الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي مع إيران على القضية السورية، وكانت الندوة تحت عنوان: "الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي الإيراني وانعكاساته على الملف السوري" - مركز الحوار السوري.

مقدمة:

شكّلت حالة صعود الثورة الإيرانية في العام 1979 م تحوّلاً خطيراً في المنطقة عموماً، لاسيما بعد تبنّي النظام الإيراني الجديد استراتيجية تصدير الثورة إلى البلدان المجاورة، الأمر الذي مثّل تهديداً أمنياً لتلك الدول، وصولاً إلى ما نشهده حالياً من تغلغل الأذرع الإيرانية المسلحة وغير المسلحة في مختلف الدول العربية، ابتداءً من العراق، وليس انتهاءً بسورية واليمن [3].

وفي السياق ذاته حملت الثورة الإيرانية مع مجيئها شعارات أيديولوجية جاذبة، كنصرة المظلومين والمستضعفين، عزّزها ما ظهر من توتر مع الولايات المتحدة، وقطع العلاقات الدبلوماسية مع "إسرائيل"، وتحويل السفارة الإسرائيلية إلى سفارة فلسطين، وحدوث عدة احتكاكات إيرانية مع الولايات المتحدة، كان أبرزها أزمة السفارة الأمريكية واحتجاز الدبلوماسيين الأمريكيين في طهران، وذلك بالتزامن مع ممارسات ذات دلالات مناقضة، كالإصرار على استمرار الحرب الإيرانية العراقية، ثم حدوث التعاون الأمريكي الإيراني في العراق وأفغانستان لاحقاً، الأمر الذي بدا غير منسجم مع الشعارات الإيرانية المعلنة، وفي الوقت ذاته دعمت إيران بعض الحركات الفلسطينية التي تعمل ضدّ "إسرائيل"، إضافة إلى "حزب الله" ونشاطاته العسكرية ضدّ "إسرائيل".

لاحقاً ازداد التدخل الإيراني حدّة من خلال دعم المليشيات الطائفية العابرة للحدود في سورية واليمن والعراق، ليعلن "حزب الله" أن طريق القدس يمرّ من القُصَير والزبداني والقلمون [4]، ما أثار جدلاً متجدداً حول حقيقة تعاملات النظام الإيراني مع الولايات المتحدة و"إسرائيل"، وديناميكات العلاقة بينها، مع ظهور بعض المحاولات لاختزال توصيف العلاقة بتوصيفات بسيطة، كالعداء المطلق، أو التحالف السرّي أو التبعية، وهو ما بات يُعرف بـ"نظرية المؤامرة"[5]؛ التي ترى أنَّ كل ما يحدث من مواجهات أمنية وعسكرية وسياسية بين الطرفين لا تعدو أن تكون تمثيليات ضمن خطة للهيمنة على العالم العربي وتقاسم النفوذ فيه. وفي المقابل يتحدث آخرون عن "صراع وجودي" حقيقي مستمدٌّ من الإيديولوجيا، وله أبعاد دينية تعيق إيران و"إسرائيل" تحديداً من الوصول إلى حلٍّ شامل لإنهاء حالة التوتر المستمر بينهما[6].

(3) فيما يتعلق بالوضع في سورية، ونظراً لما تشكله السياسة الإيرانية في التغلغل الثقافي داخل النسيج السوري من مخاطر كبيرة على الهوية الوطنية السورية، وفي إطار الجهود للمساهمة في تعزيز الهوية الوطنية السورية الجامعة، ورصد الأخطار المحدقة بها؛ نشر مركز الحوار السوري دراسة كاملة في أربعة إصدارات متتالية بعنوان "التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا: أدواته، مخاطره، سبل مواجهته"، 2020/5/10، وهي متابعة لأوراق سابقة أصدرها المركز بعنوان: "ميلشيات المشروع الإيراني في سوريا" في ثلاثة أجزاء، بين 2019/11 ـ 2020/1.

(4) يُنظر تقرير الجزيرة نت: نصر الله: طريق القدس يمر بالقلمون والزبداني.

(5) يُنظر مثلاً مقال: دلائل التحالف الإيراني السري ضد العرب.

(6) ثمة نظرية تتحدث عن «صراع وجودي» بين الفريقين مستمد من الإيديولوجيا وله أبعاد حضارية ضاربة في العمق؛ فإسرائيل لم تعد ترى تهديداً وجودياً لكيانها خارج إيران ومعسكر حلفائها، وإيران ترى أن مشروع تمددها «الحضاري» ككيان «امبراطوري» ليس له من معيق خارج إسرائيل، المدعومة من مراكز دولية وإقليمية عدة. من مقال: إيران وإسرائيل... محاولة للفهم - عريب الرنتاوي - الدستور.

تأتي هذه الورقة جزءاً من سلسلة للإضاءة على حقيقة العلاقات الإيرانية مع الولايات المتحدة ومع "إسرائيل"، في محاولةٍ للوصول إلى فهم واقعي موضوعي متكامل لها من خلال تحليل الأحداث، بهدف كشف الغموض عن العلاقة المعقّدة المتداخلة التي جمعت إيران و"إسرائيل" والولايات المتحدة الأمريكية. وقد أُعدت هذه الدراسة التحليلية بناءً على استقراءٍ وتحليلٍ للأحداث والمنعطفات المتعلقة بالعلاقات الإيرانية الإسرائيلية الأمريكية قبل ثورة الخميني، وأثناءها، وبعدها، من خلال الرجوع إلى ما توفر لدى الفريق البحثي من الدراسات والتحليلات والوثائق التي كُتبت عن تلك الأحداث من مختلف الباحثين أو السياسيين باعتبارها معلومات تحتاج التحقق والمقارنة والمعالجة التحليلية للخروج بنتائج، وهو ما حاوله فريق البحث للوصول إلى الحقائق قدر المستطاع.

أولاً. العلاقات الإيرانية مع كلٍّ من الولايات المتحدة و"إسرائيل" قبل ثورة الخميني:

1.1. التنازع الدولي على النفوذ في إيران بعد الحرب العالمية الثانية:

تتمتع إيران بأهمية استراتيجية بحكم موقعها وغناها بالنفط، وقد شهدت صراعاً على النفوذ بين بريطانيا والاتحاد السوفييتي خلال الفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية [7]؛ إذ تُعدُّ إيران ذات أهمية استراتيجية كبيرة للاتحاد السوفييتي بحكم حدوده الطويلة معها. وبعد خروج الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة كمنتصرَين قويين من الحرب العالمية الثانية؛ كان المسرح الإيراني أحد أوائل الاحتكاكات والاختبارات للصراع على النفوذ بين المعسكرين الشرقي والغربي، فقد رفض السوفييت الانسحاب من إيران بحسب الاتفاق الذي تم مع الحكومة الإيرانية في العام 1942م، والذي نص على انسحاب قوات الحلفاء من إيران بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية، بل قام السوفييت بالمساهمة في تأسيس جمهوريتَين في منطقة نفوذهم العسكري داخل إيران، كانت أولاهما جمهورية أذربيجان، والثانية جمهورية مهاباد في المنطقة الكردية من إيران. الأمر الذي دفع إيران لطلب دعم بريطاني وأميركي في مواجهتها مع السوفييت [8]، وبعد ضغوط أمريكية وبريطانية وإصرار إيراني تمخضت التطورات عن إعلان الاتحاد السوفياتي استعداده للانسحاب من الأراضي الإيرانية خلال ستة أسابيع بعد حصوله على امتيازات نفطية في إيران، ووافق الإيرانيون على إعطاء السوفييت الامتيازات النفطية، وانسحب السوفييت بالفعل في العام 1946م؛ ولكن الامتيازات لم تجد طريقها للتنفيذ بسبب رفض المجلس النيابي الإيراني لها، لتقوم القوات الإيرانية باقتحام جمهورية أذربيجان وجمهورية مهاباد الوليدتَين، وإسقاط ما اعتبره الإيرانيون محاولات انفصال عن إيران، واحتفى الإيرانيون بما عدّوه نصراً عظيماً لمنع تقسيم إيران، الأمر الذي ما كان ليتم لولا الدعم الأمريكي البريطاني في وجه السوفييت، وبالتالي أصبحت إيران منطقة نفوذ أمريكية بريطانية [9].

2.1. تعزيز العلاقات مع المعسكر الغربي و"إسرائيل":

لاحقاً كان لتنفيذ الولايات المتحدة وبريطانيا انقلاباً ضد حكومة (محمد مصدق) الإيرانية المنتخبة في العام 1953م الأثرُ البالغ في تثبيت حكم الشاه وعودته إلى إيران بعد فراره، وتعزيز تموضع إيران وولائها للمعسكر الغربي[10]، الأمر الذي أدى بطبيعته إلى وجود مصالح ومخاطر مشتركة مع "إسرائيل"، خاصة مع ميول عدد من

(7) كان موضوع الصراع على امتيازات النفط بين الدولتين أحد أسباب الصراع المهمة، لتحل الولايات المتحدة محل بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية، يُنظر: النفط وأثره في العلاقات الإيرانية السوفيتية – 1901 – 1945 – مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، د. عبد المجيد عبد الحميد العاني.

(8) في أكتوبر من عام 1947 عقدت الولايات المتحدة مع إيران اتفاقية البعثة العسكرية الأمريكية التي زادت من سيطرة المستشارين العسكريين الأمريكيين على الجيش الإيراني، الأمر الذي أدى إلى وقوف إيران رسمياً في الطرف المعادي للسوفييت وانضمامها إلى المعسكر الغربي.

(9) يُنظر: تجارب الحكم الكردية ... رؤية نقدية، د. نجدت عقراوي، الجزيرة نت، 2006/05/21.

(10) كان الانقلاب قد تم تدبيره ضد محمد مصدق بسبب تأميمه القطاع النفطي، وقد عزز الانقلابُ حكم شاه إيران محمد رضا بهلوي، الذي كان قد فرّ من إيران في أعقاب صراع على السلطة مع مصدق، وعاد بعد الانقلاب ليصبح حليفاً مقرباً للولايات المتحدة، وقد دعمت الولايات المتحدة وبريطانيا القوى الموالية للشاه وساعدت في تنظيم الاحتجاجات المناهضة لمصدق. يُنظر تقرير لصحيفة (BBC) العربية: وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تعترف رسمياً بدورها في انقلاب إيران عام 1953، 2013/08/20.

الدول العربية إلى المعسكر الشرقي[11]؛ فقد أثار توجُّه عبد الناصر نحو السوفييت قلق الشاه[12]، إضافة إلى وجود مخاوف إيرانية من النزعة العروبية القومية التي كان يقودها عبد الناصر، خاصة مع الحديث عن الوحدة العربية واسترجاع الأراضي العربية، مما يعني خطراً على إقليم الأهواز ذي الأغلبية العربية والغني بالنفط[13]، مما أسهم في زيادة الشعور بالخطر العربي المشترك من قبل الطرفين الإيراني و"الإسرائيلي"، وذلك بالتزامن مع زيادة تخوّف الشاه من مطامع الاتحاد السوفييتي في إيران[14].

ويضاف إلى ذلك عوامل أخرى، أبرزها، حاجة "إسرائيل" إلى النفط بشكل كبير (مما أدى إلى نمو الصادرات الإيرانية النفطية إلى "إسرائيل")، ووجود جالية يهودية إيرانية كبيرة كانت "إسرائيل" تطمح لهجرتهم إليها مع تأمين ممر لليهود العراقيين، كما قدمت "إسرائيل" استشارات ودعماً تقنياً وتكنولوجياً في المجالات الزراعية والعسكرية كأحد أوجه التعاون التي تطورت لاحقاً بشكل متسارع[15]، في ذات الوقت، كان الشاه يحرص على تموضعه في الشرق الأوسط، وكان يطمح لعمل الوساطة بين العرب و"إسرائيل"؛ ولذلك حرص على عدم الاعتراف ب" إسرائيل" بشكل قانوني رسمي، وبقيت علاقة إيران معها في إطار سري نسبي، كما أيد الشاه حق العرب في استرجاع أراضي العام1967م [16]، وبعد مجيء السادات إلى حكم مصر، وتحوله إلى المعسكر الغربي وطرده للخبراء السوفييت، تحسنت العلاقات الإيرانية مع مصر، حيث اعتبر الإيرانيون التحول المصري انتصاراً استراتيجياً، الأمر الذي أثر

(11) كما هو معلوم أثرت طبيعة الحرب الباردة بين القطبين السوفييتي والأمريكي على منظومة العلاقات والاصطفافات في عموم المنطقة والعالم.

(12) لعل مما يؤكد هذا إقامة علاقات مميزة بين الشاه وأنور السادات لاحقاً، بعد طرد السادات الخبراء الروس وتحوله بشكلٍ صريحٍ إلى الاصطفاف مع المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة؛ فالسياسات الغربية التي اتبعها السادات في بداية فترته هي مما دفع الشاه للإعجاب بالرئيس المصري الجديد، لأنه لم يكن يسعى إلى تحقيق الأحلام القومية العربية ولا لنشر الحركات التحررية. يُنظر: إيران وحرب أكتوبر .. ما يجب أن نعرفه عن رؤية الشاه لانتصارات العاشر من رمضان - المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية.

(13) يُنظر: كتاب "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة" مترجماً، القسم الأول – حقبة الحرب الباردة، تأليف "تريتا بارزي"، أستاذ العلاقات الدولية الأمريكي من أصل إيراني، 2006.

(14) إضافة إلى إرث النزاع بين السوفييت والبريطانيين على إيران في الفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، وما حدث من انسحاب السوفييت فيما سمي بأزمة إيران في العام 1946؛ من المفيد الإشارة إلى أن منطقة بحر قزوين تقع في أحد أهم المجالات الحيوية للتمدد الإيراني عبر التاريخ، وهي منطقة حيوية للروس أيضاً، مما يثير تنافساً إيرانياً روسياً يمتد حتى اليوم، حيث تؤيد روسيا مواقف أذربيجان وكازخستان في خلافهما مع إيران، وفي العهد القيصري لروسيا شنت حروباً عديدة ضدّ إيران، بل احتلت جزءاً من الأراضي الإيرانية. يُنظر: إيران وبحر قزوين: معادلة للصراع وتقسيم النفوذ.- مركز الجزيرة للدراسات للباحثة فرح أبو شعير، 2013/01/21.

(15) كتاب "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة" مترجماً، القسم الأول – حقبة الحرب الباردة - مرجع سابق، ص18.

(16) يمكن للمثال التالي شرح محاولة الشاه مسك العصا من الوسط في العلاقة بين العرب و"إسرائيل": ففي حرب العام 1973 م سمح الشاه للطائرات السوفيتية بعبور الأجواء الإيرانية لتقديم الأسلحة وقطع الغيار للدول العربية، وفي الوقت ذاته رفض الاقتراح العربي بحظر بيع النفط لـ"إسرائيل"، حيث استمرت إيران ببيع النفط للإسرائيليين. ويشرح سفير إيراني سابق السياسة السابقة بقوله: "لم نجعل من "إسرائيل" صديقاً لكي نجعل العرب أعداء لنا"، ويبدو أن هذا انعكس على محاولة إيران موازنة القوى في الشرق الأوسط؛ فبعد حرب أكتوبر تقدم الإيرانيون إلى جانب المصريين بمقترح للأمم المتحدة لجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من السلاح النووي، والذي يعني استهداف "إسرائيل" كونها الدولة الوحيدة التي تمتلكه، المرجع السابق، ص28.

على تطور العلاقات الإيرانية الإسرائيلية نحو العلنية والرسمية، ما أدى إلى كبح جماح تطور العلاقة الإيرانية الإسرائيلية عموماً[17].

3.1. تأثير الحكم الفردي للشاه وميوله لنهج استقلالي:

مع تطور القدرات العسكرية العراقية، وظهور العراق كدولة عربية قوية يمكن أن تهدّد أمن "إسرائيل" بعد تحييد مصر من خلال اتفاقية السلام معها؛ تلاقت مصالح الإيرانيين والإسرائيليين ضد العراق وصعوده، وقام الطرفان بدعم الزعيم الكردي مصطفى برزاني عسكرياً ضد النظام العراقي [18]، ولكن الشاه تخلّى فجأة عن دعم الأكراد عسكرياً بعد اتفاقه مع العراق على إدارة الحدود والخلافات بينهما على شطّ العرب [19]، الأمر الذي أزعج الإسرائيليين والأمريكان[20]، وكانت تلك الاتفاقية تنبيهاً للولايات المتحدة وللإسرائيليين بشأن النهج الاستقلالي الذي بدأ الشاه اتباعه، وكانت ردود الأفعال الإسرائيلية أكثر صراحةً وشدةً من نظيرتها الأمريكية على خطوة الشاه، وشعرت "إسرائيل" بالقلق على علاقتها مع إيران، معتبرة أنها باتت براغماتية وانتهازية إلى حدّ بعيد من قبل إيران [21].

نما النهج الاستقلالي للشاه مع زيادة قوته العسكرية، والتي اعتمدت بالدرجة الأولى على شراء الأسلحة من الولايات المتحدة بكثافة، إذ مثّلت المشتريات الإيرانية ثلث الأسلحة الأمريكية المباعة بين العام 1972 م إلى العام 1977 م [22]، وبالتوازي مع ذلك حاول الشاه فيما يبدو اتباع نهج تقاربي مع الدول العربية، مما زاد من القلق الإسرائيلي [23].

---

(17) على سبيل المثال: منعَ الشاه المسؤولين الإيرانيين من الاحتفال بالذكرى السنوية لتأسيس "إسرائيل" داخل مقر البعثة الإسرائيلية في طهران، كما أثار الشاه غضب الإسرائيليين عندما لم يوجّه الدعوة لهم لحضور الاحتفالات بمناسبة الذكرى 2500 لقيام الامبراطورية الفارسية، الاحتفالات التي غطتها وسائل الإعلام الأمريكية بشكل سلبي، الأمر الذي عزاه الشاه للخلافات مع الإسرائيليين باعتبارهم ذوي نفوذ كبير على وسائل الإعلام الأمريكية، كما كان الشاه كثير الانتقاد لإسرائيل في المجالس الخاصة. يُنظر: كتاب "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"، ص22، مرجع سابق.

(18) وذلك على الرغم من تخوفات الشاه من الدعم الإسرائيلي للأكراد؛ كونه قد يؤثر لاحقاً على الكتلة الكردية داخل إيران ويزيد من طموحها، كما يؤخذ بعين النظر أيضاً أن جمهورية مهاباد الكردية قامت في إيران بدعم من السوفييت.

(19) وذلك بعد توقيع اتفاقية الجزائر في 6 آذار عام 1975م بين نائب الرئيس العراقي آنذاك (صدام حسين) وشاه إيران (محمد رضا بهلوي) وبإشراف رئيس الجزائر (هواري بومدين)، وقد تضمّنت الاتفاقية: تخلي إيران عن دعم الأكراد في شمال العراق مقابل اعتراف بشط العرب بالتناصف بين البلدين، وكان لاتفاقية الجزائر دور في تخفيف الحالات العدائية بين البلدين لسنوات عدة حتى قيام الثورة في إيران عام 1979. يُنظر: يوم ألغى صدام حسين اتفاقية الجزائر مع إيران.. لماذا اتخذ هذا القرار وهل كان سببا لاندلاع الحرب بين البلدين؟، طه العاني، الجزيرة نت، 2020/09/17.

(20) كان سلوك الشاه الفردي محل انتقاد مقربين منه؛ "فحتى كبار المسؤولين في "السافاك" أُخِذوا على حين غِرّة"، وعلل سفير إيراني سابق ذلك بقوله: "كانت أولويتنا شط العرب، وأن نحسن علاقاتنا مع العراق؛ كانت مصلحتنا القومية تحتل المقام الأول". يُنظر: كتاب "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"، ص34.

(21) امتنعت الولايات المتحدة عن إبداء ردة فعل بالغة القسوة نظراً لأهمية إيران والشاه، وكانت الولايات المتحدة تغض الطرف عن الميول المتمردة والطموحات الاستقلالية للشاه، لكن اتفاقية الجزائر كانت "التباعد الهام الأول والمفاجئ في المصالح مع الولايات المتحدة" بحسب مسؤول أمريكي سابق، أما الإسرائيليون فلم يتأنوا في اختيار كلماتهم في انتقاد الشاه، وشعروا بأنهم تعرضوا لخيانة شخصية من الشاه، المرجع السابق، ص34.

(22) المرجع السابق، ص26.

(23) بعد شهر من اتفاقية الجزائر مع العراق صرّح الشاه في مقابلة مع محمد حسنين هيكل: "قمنا بتطبيق مبدأ عدو عدوي هو صديقي، وتطورت علاقتنا مع "إسرائيل"، ولكن الوضع تغير الآن، أفكّر بين الحين والآخر بتوازن جديد في المنطقة، وربما يمكن مكاملته في إطار إسلامي". مرجع سبق ذكره، كتاب: "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"، ص35.

ويمكن رصد حدثَين يدلّان على نجاح نسبي للنهج التقاربي في تلك الفترة؛ الأول في العام 1975 م بعد شهور من توقيع اتفاقية الجزائر عندما صوتت إيران لصالح مشروع القرار العربي في الأمم المتحدة الذي يساوي بين الصهيونية والعنصرية [24]، وذلك بعد جهود دبلوماسية عربية غيّرت من الموقف الإيراني الذي كان ينوي عدم التصويت، والثاني هو عدم وقوع صدام عراقي أو عربي مع إيران في مؤتمر أمن الخليج في العام 1978 م. ومع ذلك ساهمت خطوة الشاه في إيقاف الدعم عن برزاني برفع أعباء كبيرة عن العراق، الأمر الذي استغله العراق في زيادة الانفاق العسكري بشكل كبير، مما أقلق الإيرانيين مجدداً، وبدأ بعض المسؤولين الإيرانيين بالنظر إلى اتفاقية الجزائر على أنها خطأ استراتيجي للشاه، لاسيما أنه قام بها دون استشارات كافية مع أركان دولته، فضلاً عن عدم التنسيق مع حلفائه في واشنطن وتل أبيب، فيما اعتبر الشاه ممارساته انتصارات عظيمة[25].

علاوة على ذلك كانت طريقة الشاه في التعاطي مع شوؤن الدولة تتسم بالفردية والمزاجية، وازدادت طموحات القوة لديه بشكلٍ أقلق الأمريكان والإسرائيليين الذين بدؤوا ينظرون إليه كمصاب بجنون العظمة، في الوقت الذي لم تكن الفرصة متاحة عملياً للمستشارين من حول الشاه لانتقاده بسبب خوفهم من ردود فعل الشاه المستبد[26].

وبعد استعراض ما سبق يمكن الاستنتاج: أن السياسة المستبدّة للشاه قد أضعفت أوراقه وشرعيته الداخلية، وهو ما ساهم إلى جانب طموحاته غير المتناسبة مع شرعيته وقدرات بلاده في إضعاف أوراقه لدى الأمريكان والإسرائيليين، وما أدى لاحقاً إلى إمكانية تفكيرهم في دعم البديل الذي ظهر من خلال الثورة الإيرانية.

(24) ينظر التقرير: قرارا الأمم المتحدة حول علاقة الصهيونية بالعنصرية. الجزيرة، 2001/08/31.

(25) ينظر: كتاب "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"، مرجع سابق، ص36.

(26) بعد ما اعتبر الشاه من بسط نفوذه على الخليج بدأ يتطلع إلى مناطق نفوذ جديدة، وصرح لأحد المسؤولين الأمريكان بتطلعه لنفوذ إيراني في المحيط الهندي، الأمر الذي أقلق الأمريكيين من تطلعات الشاه لتكون إيران قوة عالمية. ووصف المسؤولون الإسرائيليون هذه الأفكار بـ"جنون عظمة الشاه"، ولم يكن باستطاعة غالبية مستشاري الشاه معارضته في سياساته، على الرغم من إدراكهم الثغرات في السياسات المقترحة، حيث يقول علي ناغي علي خاني (وزير سابق لدى الشاه): "لماذا نطمح إلى أن نكون القوة المهيمنة في المحيط الهندي؟ كان الأمر سخيفاً؛ فشعبنا فقير، حتى إن جيشنا لم يكن يملك القوة الكافية بما أن كافة قطع الغيار مصنوعة في الولايات المتحدة، كنا دولة تعتمد على الخارج بالكامل". وجاء في تقرير رفعت عنه السرية أعدته الخارجية الأمريكية في العام 1967 قبيل زيارة الشاه للولايات المتحدة: "الشاه يحكم البلاد ويديرها؛ فهو من يتخذ كافة القرارات الهامة، والعديد من القرارات غير الهامة نيابة عن الحكومة الإيرانية"، وفي منتصف السبعينات زاد ميل الشاه للتدخل في أصغر شؤون الدولة، وتوقف عن استشارة مستشاريه، وأصرّ على إجراء كافة التحليلات واتخاذ كافة القرارات بنفسه. كتاب: "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"، مرجع سابق، ص39.

ثانياً. التأثيرات الأمريكية والإسرائيلية قبيل و أثناء ثورة الخميني:

1.2. صفقة النفط السرية التي أضعفت حكم الشاه:

في دراسة للباحث أندريه سكوت كوبر بعنوان"صفقة النفط السرية التي أدت إلى غرق الشاه"[27] يذكر الباحث أهمية دراسة الأسباب الحقيقية التي أدت لاندلاع الثورة الإيرانية وسقوط حكم الشاه؛ فيرى أنه إلى جانب العوامل السياسية والدينية والثقافية كانت ثمّة عوامل اقتصادية أدت أيضاً إلى اندلاع الثورة وإضعاف حكم الشاه[28]؛ حيث إنَّ قيام الشاه برفع سعر برميل النفط الإيراني[29]، وما تسبّب به حظر تصدير النفط العربي للدول الداعمة "لإسرائيل" في حرب العام 1973م من أزمة اقتصاديّة عالمية وركود اقتصادي للغرب الصناعي[30]؛ قد أجبر على ما يبدو الإدارة الأمريكية على توقيع اتفاق مع الجانب السعودي في العام 1974 م في محاولةٍ منها لخفض أسعار النفط في العالم، بعد أن رفض الشاه الطلب الأمريكي بضرورة وقف رفع أسعار النفط الإيراني، ومن ناحيتها عمدت السعودية إلى إغراق السوق العالمية بالنفط، وهو ما أدى إلى حدوث أزمة اقتصادية في إيران زعزعت الاستقرار وأضعفت قبضة الشاه على الحكم، ومن ثم كانت سبباً رئيسياً من أسباب الثورة التي أدت إلى سقوطه[31].

2.2. تأثير صعود اليمين الإسرائيلي على العلاقة بين تل أبيب وطهران:

كان لوصول حزب يميني بزعامة (مناحيم بيغن) إلى سدّة الحكم لأول مرة في تاريخ "إسرائيل" في العام 1977 م أثرُه الواضح في العلاقات بين إيران و"إسرائيل"؛ إذ شكّل مصدر احتكاكٍ وتوتّرٍ مستمر بين طهران وتل أبيب بعد عقودٍ من التعاون والاستشارات والدعم المتبادل بين الطرفين، حيث نظرت إيران إلى السياسة "الإسرائيليّة" التوسّعية العدوانية التي جاء بها بيغن باعتبارها تهديداً لاستقرار المنطقة، ولدور إيران في الوساطة بين العرب و"إسرائيل"، إذ إنَّ هذه السياسات التوسّعية ستزيد من توجّه العرب نحوه السوفييت لطلب الدعم العسكري في مواجهة الأطماع "الإسرائيلية"، مما سيوفر فرصة أمام السوفييت لتعزيز نفوذهم في الشرق الأوسط، وهو الأمر الذي كانت

(27) The Secret Oil Deal That Helped Sink the Shah of Iran - the middle east journal, 2008.

(28) وهو ما أكّده المعارض الإيراني "موسى الموسوي" أيضاً، معتبراً أن من أهم الأسباب الموضوعية التي أدّت لقيام الثورة الإيرانية البطالة المستشرية في عموم المجتمع؛ حيث أشار إلى أن الشاه كان يدفع 4 آلاف مليون دولار سنوياً إلى المستشارين الأمريكان، مع وجود مليون ونصف مليون عاطل عن العمل يتسكّعون في الأزقة. ينظر: الثورة البائسة - موسى الموسوي، مترجم للعربية، ص11.

(29) سمحت إدارة الرئيس الأمريكي (نيكسون) للشاه بزيادة سعر برميل النفط والذي لم يكن سعره في مطلع الستينيات يقارب دولاراً أميركياً واحداً، ولكن مع فرض الدول العربية حظر النفط على الغرب "الدول الداعمة لإسرائيل" فقد عادت الإدارة الأمريكية بطلب خفض سعر النفط الإيراني من الشاه، الذي أعلن في 23 كانون الثاني 1974 رفع سعر برميل النفط من 5,11 إلى 11,65 دولار أميركي ضامناً لإيران بذلك مقدار 7 دولارات لكل برميل، وهذا أدّى لارتفاعٍ في سعر برميل النفط مقداره 450% خلال سنة واحدة. تُنظر مقالة: لماذا سقط نظام الشاه في إيران. - زياد منى، صحيفة الأخبار اللبنانية؛ وفيها يتحدث الكاتب أيضاً عن تأثير عامل النفط وعوامل أخرى على سقوط الشاه.

(30) أدى قرار حظر النفط العربي إلى زيادة حادة في أسعار النفط بنسبة 40%، وبدأت شركات النفط شراء كميات كبيرة من النفط بأية أسعار، كما عانت جميع الدول الصناعية الكبرى من توقّف المصانع والشركات، كما أحدث القرار حالة من الانكماش الاقتصادي نتيجة الزيادات في أسعار النفط، وانخفض الناتج القومي الإجمالي الأمريكي بنسبة 6% بين عامي 1973 و1975، وفي خلال 18 شهراً ارتفع مقدار الأميركيين تحت خط الفقر إلى 5,6%. تُنظر مقالة: لماذا سقط نظام الشاه في إيران. - زياد منى، المرجع السابق.

(31) مرجع سبق ذكره في الهامش رقم (27).

تخشاه طهران[32]، ويبدو أنَّ رغبة الشاه في بناء مشروعيةٍ لقيادته الإقليمية من خلال لعب دور وسيط السلام بين "إسرائيل" والعرب بات أكثر صعوبة مع صعود اليمين "الإسرائيلي"، وتبنّيه السياسة العدوانية التوسعية على حساب الدول العربية المجاورة[33].

3.2. تأثير قدوم كارتر للرئاسة في الولايات المتحدة:

تم انتخاب مرشح الحزب الديمقراطي (جيمي كارتر) رئيساً للولايات المتحدة في العام 1977م، وكان خطابه مشبعاً بالحديث عن الحريات وحقوق الشعوب المضطهدة، مما لم يكن في صالح الشاه المستبد الذي كان يفضل فيما يبدو قدوم الجمهوريين للحكم، وسط تقارير تحدثت عن دعم الشاه المالي للمرشح الجمهوري المنافس "جيرالد فورد"، إضافة إلى أن علاقة الشاه لم تكن جيدة مع أحد الرؤساء الديمقراطيين السابقين (جون كينيدي)، في الوقت الذي كانت فيه الصحف الأمريكية تنتقد التدخلات الأمريكية في دعم الانقلاب العسكري في تشيلي، الأمر الذي انعكس لاحقاً بتكرار النصائح الأمريكية للشاه بالانفتاح السياسي والاصلاح، وهو ما شجع المعارضة الإيرانية على رفع سقف مطالباتها بالتغيير[34].

4.2. التعاون الإسرائيلي ـ الإيراني في المجال العسكري (مشروع الوردة "النفط مقابل السلاح"):

يبدو أنَّ تبنّي إدارة كارتر مقاربةً أكثر اعتدالاً في التعاطي مع الاتحاد السوفييتي[35]، وتنامي القوة الهجومية العراقية في عهد (صدام حسين) بعد ازدياد حجم المبيعات السوفيتية من صواريخ سكود الباليستية للعراق قد شكّل هاجساً وقلقاً لدى طهران، ودفعها إلى أحضان تل أبيب في سبيل الحصول على المعرفة التكنولوجية الصاروخية الإسرائيلية، بعد رفض إدارة كارتر الطلب الإيراني لتزويدها بقوّة ردعية صاروخية لمواجهة الصواريخ العراقية بحجة امتلاك هذه الصواريخ قدرة على حمل رؤوس نووية[36]، وهذا بدوره قد فتح الباب أمام إيران و"إسرائيل" للشروع في العديد من العمليات التعاونيّة السريّة بينهما؛ كمشروع "الوردة" في العام 1977 م، الذي وفّر للإيرانيين تطوير تكنولوجيا صاروخية محلية قادرة على مجابهة التهديد العراقي، وفي المقابل أنعشت هذه المشاريع التحالف

(32) تمثّل خوف الشاه من احتمالية توغّل السوفييت في الشرق الأوسط مستغلّين حالة الفوضى وعدم الاستقرار، وهو ما يعني تعرض المصالح الإيرانية للتهديد، وقد عمل الشاه على إرسال العديد من الرسائل لـ"إسرائيل" يحذرها من النوايا السوفيتية الداعمة للعراق وسوريا الهادفة لتخريب أية جهود ممكن أن تؤدي إلى السلام. كتاب "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"، مرجع سبق ذكره، ص41.

(33) لا يعني هذا أنَّ علاقة طهران بالمحيط العربي كانت خالية من التوترات والمشاحنات، لا سيّما مع جارتها العراق، حيث أشار شاه إيران في مواقف عديدة إلى أن إيران لا تنوي الوقوف بالكامل إلى جانب العرب، وهو ما أشار إليه كذلك "علام رضا أفخامي" مستشار الشاه بأن الشاه لم يكن يفكر باتخاذ مواقف معادية لـ"إسرائيل" دفاعاً عن العرب، وسبب هذا تنامي قوة العراق، وهو ما سيعني ازدياد حاجة طهران الأمنية إلى إسرائيل مجدداً، المرجع سابق، ص42.

(34) كان معروفاً أن الحزب الجمهوري أكثر تأييداً للشاه وسياساته، وربما زاد من عداوة كارتر للشاه ما سمعه عن إنفاق السفارة الإيرانية بأمر من الشاه ملايين الدولارات على دعم مرشح الحزب الجمهوري المنافس لكارتر. يُنظر: كتاب الثورة البائسة ـ موسى الموسوي، ص14؛ وقد اعتبر الموسوي أن انصياع الشاه للنصائح الأمريكية كان أحد أهم أخطائه القاتلة التي تسببت في انهيار حكمه.

(35) كان الشاه كثير الانتقاد لسلوك الولايات المتحدّة في الحرب الباردة، وجادل مراراً بأنَّ واشنطن أصبحت على نحو متزايد حليفاً لا يمكن الاعتماد عليه، وخشي الشاه من أنه مع عدم قدرة الولايات المتحدة على الوقوف بحزم ضد الشيوعية سيجد السوفييت الفرص لتعزيز تقدّمهم في الشرق الأوسط. "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة "، ص42.

(36) كتاب "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"، ص42.

الإسرائيلي ـ الإيراني في وقتٍ كانت تتعرّض فيه "إسرائيل" لضغوط متزايدة من جيرانها العرب، كما وفّرت لها إمدادات مضمونة من النفط، فضلاً عن التمويل اللازم لبحوثها الصاروخية المتطورة.

بناءً على ما سبق يبدو أنَ الخطر السوفيتي والتهديد العربي، ولا سيّما القوّة العراقية المتنامية، كان هو المسيطر على مخيال صانع القرار الإيراني في بلورة سياسته الخارجية[37]، ولعله هو ما أسهم في تعزيز العلاقة التي جمعت إيران بـ"إسرائيل"؛ حيث إنَّ تنامي قوة العراق بعد توقيع معاهداتٍ عسكرية عديدة مع الاتحاد السوفيتي تقضي بتزويد السوفييت للعراق بصواريخ سكود البالستيّة أظهر العراق كتهديدٍ حقيقي مشترك بالنسبة لطهران وتل أبيب، مما أجبر الطرفين على العودة إلى مقاعد المصالح المشتركة، وقد اتسمت سياسة الشاه بالازدواجيّة والمزاوجة بين علاقته مع جيرانه العرب وعلاقته مع "إسرائيل" الموالية للمعسكر الغربي، وفي المقابل بدا أنَّ "إسرائيل" ونتيجةً للتوترات المستمرة مع محيطها العربي حاولت تجاوز هذا المحيط المعادي لها بإقامة تحالفات مع المحيط الأبعد المتمثّل بالجانب الإيراني، الذي يشاركها العداء التقليدي مع العرب[38]، وهو ما مثّل تطبيقاً لـ" المبدأ المحيطي" لدى صانع القرار في "إسرائيل"[39].

5.2. هروب الشاه، والتواصل الأمريكي مع الخميني:

أظهرت العديد من الوثائق الأمريكية[40] التي تم الكشف عنها منتصف العام 2016 م أنَّ السفارة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" كانت قد تلقت رسائل كثيرة من " الخميني"من منفاه في باريس، تشير إلى التزامه

(37) شكّلت مصر على ما يبدو في عهد جمال عبد الناصر أيضاً عامل قلق لطهران؛ حيث إن سياسات عبد الناصر التوسعية المغلّفة بفكرة القومية العربية في وقت صعود العاطفة القومية الجياشة قد أثارت مخاوف طهران من احتمالية تأثيرها على منطقة الأهواز العربية الغنية بالنفط، ويبدو أن تبنّي عبد الناصر النهج الاشتراكي إلى جانب الدعم السوفيتي له أثار أيضاً هواجس طهران من ظهور مصر كقوّة إقليمية بدعم سوفيتي. ويبدو أن هذه المخاوف تبدّدت مع توقيع أنور السادات اتفاقية السلام مع "إسرائيل" بعد طرده الخبراء السوفييت وتوجهه نحو المعسكر الغربي.

(38) شابت العلاقات الإيرانية ـ العربية الكثير من الإشكاليات والمنغّصات القديمة؛ إذ إن التنافس العربي الإيراني تجاوز حدود التنافس السياسي إلى تلوّنه بتنافس قومي، كالخلاف على عروبة البحرين، والجُزر الإماراتية الثلاث التي تحتلها إيران، والعَلاقة مع "إسرائيل"، ولا سيّما في فترة الحروب بين العرب وإسرائيل. يُنظر: لماذا شكّلت الصحوة الإيرانية كابوساً للخليج ـ المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، د. محمد بن صقر السلمي، 2019/9/29.

(39) المبدأ المحيطي، والذي يُعبّر عنه أيضاً بمقولة "أعداء أعدائي هم أصدقائي": طوّره رئيس الوزراء الإسرائيلي بن غوريون في الخمسينيات، وكان يركز على فرضية أن على "إسرائيل" إقامة علاقات وثيقة مع دول المنطقة غير العربية لحماية نفسها من جيرانها العرب المعادين لها، وكانت إيران توصف كـ "جوهرة تاج التحالف مع المحيط"، والجدير بالذكر، أن الشاه كان قد وصف تقاربه مع "إسرائيل" بالمقولة ذاتها "عدو عدوي صديقي" كما أوردناه سابقاً في الهامش رقم 18. يُنظر في الصفحة العاشرة من المرجع أدناه:

A Brief History of Israeli-Iranian Cooperation and Confrontation - RAND Corporation

(40) يُنظر نص الوثيقة السرية التي رفعت وكالة الاستخبارات الأمريكية السرية عنها، والتي حملت عنوان "Islam In Iran"، ونشرتها هيئة الإذاعة البريطانية باللغة الإنكليزية، ففي الصفحة رقم 67 تذكر الوثيقة: أن الخميني بدأ بالتواصل مع الولايات المتحدة في العام 1963م بشكل مبكر عن طريق الحاج ميرزا خليل، وهو أستاذ جامعي إيراني وسياسي مقرب من المعارضة الدينية للشاه. ويُنظر تقرير صحيفة الجارديان البريطانية عن الوثائق، وفيه: "كانت الولايات المتحدة على اتصال مكثف مع الخميني قبل الثورة الإيرانية"، وتشير الوثائق بحسب الجارديان إلى أن إدارة كارتر مهدت الطريق للخميني للعودة إلى إيران من خلال منع الجيش من القيام بانقلاب عسكري. والجدير ذكره هنا أن الكشف عن هذه الوثائق حديثاً يهيئ الفرصة لدراسة الملف بشكل أكبر، ليؤكد ما كان سابقاً في إطار التحليلات والافتراضات، وهو ما حاولنا الإسهام به جزئياً بالقدر الذي شعرنا أنه كافٍ ومهمّ في السياق السوري، ولا شك أن الموضوع يبقى واسعاً ومفتوحاً للباحثين الأكاديميين خاصة.

US had extensive contact with Ayatollah Khomeini before Iran revolution ـThe Guardian.

بإقامة علاقات وديّة مع الأمريكيين[41]، وإلى تعهُّده بعدم قطع النفط عن الغرب، مقابل تدخل الولايات المتحدة لدى قادة الجيش الإيراني الموالين للشاه لتحييدهم من أجل تسهيل وصوله للسلطة[42]. كما أوضح الخميني في برقية مرسلة إلى السفارة الأمريكية بأنه لا يعارض المصالح الأمريكية في إيران، معتبراً أنَّ الوجود الأمريكي ضروري لمواجهة النفوذ السوفيتي والبريطاني[43].

وقد قُوبلت مطالب الخميني بالموافقة من الجانب الأمريكي؛ إذ أوضحت الوثائق التي نشرتها "BBC" أنَّ الرئيس الأمريكي طلب من الشاه المريض مغادرة البلاد، وذلك بعد حصول نوع من التوافق العريض داخل إدارة كارتر على إمكانية التعامل مع الخميني وعقد الصفقات معه ومع الدائرة المحيطة به[44]، وبعد يومين فقط من مغادرة الشاه لطهران أبلغت الولايات المتحدة مبعوث الخميني أنهم لا يمانعون من تغيير الدستور الإيراني وإلغاء الملكيّة بشكل نهائي، وقد أسهمت إدارة كارتر بشكل مباشر في تحييد كبار قادة الجيش الإيراني الموالين للشاه، ومن ثم العمل على إخراج الشاه وعائلته من إيران إلى منفاه منتصف كانون الثاني 1979م، وأخيراً إعطاء الضوء الأخضر للخميني للعودة إلى طهران بعد سلسلة من المفاوضات والوعود التي تعهد بها الخميني مقابل ذلك، دون أن يفي بها مستقبلاً[45] **لأسباب محتملة نستنتجها** لاحقاً، حيث أقلّته طائرة فرنسية ليتسلّم زمام السلطة فيها.

(41) نقلت الوثائق التي رفعت عنها واشنطن السرية عن الخميني وعوده للإدارة الأميركية مخاطباً إدارة كارتر: (سترون أننا ليس لدينا عداء خاص مع الأميركيين، وسنثبت لكم أن الجمهورية الإسلامية القائمة على الفلسفة والقوانين الإسلامية لن تكون غير حكومة محبة للإنسانية وداعمة لمبدأ السلام والهدوء لكل البشرية). يُنظر التقرير: وثائق أميركية: الخميني كان مستعدًا لبيع النفط لإسرائيل أثبتت رعاية الإدارة الأميركية للثورة الإيرانية.. وكارتر أجبر الشاه على التنحي واستبدل به نظام ولي الفقيه – صحيفة الشرق الأوسط؛ وهذا يتقاطع مع ما نشرته صحيفة الجارديان البريطانية، خاصة مع اعتماد المصدرين بشكل أساسي على الوثائق الأمريكية المسربة المنشورة.

(42) تظهر الوثائق الأمريكية التي تعود إلى إدارة كارتر في التقرير الذي نشرته BBC أن " الخميني أوضح أنه لا يعارض المصالح الأمريكية في إيران ". كما أنه كان يخشى من أوامر أمريكية للجيش الإيراني تفتح يده للقمع وتحبط مخططاته، ومن أجل ذلك فإن الخميني تفاوض عبر وسطاء مع إدارة كارتر، وقدم لها جملة من الوعود، طالباً منها التأثير عبر علاقاتها على موقف الجيش الإيراني من الخميني، حيث عرض الخميني على إدارة كارتر صفقة لكبح جماح القادة العسكريين الإيرانيين مقابل تهدئة الشعب الإيراني بالقول: "فالقادة العسكريون يستمعون إليك، لكن الشعب الإيراني يتبع أوامري".

Two Weeks in January: America's secret engagement with Khomeini BBC, 2016/6/3

(43) تُنظر نسخة مسربة من جملة الرسائل التي أرسلها الخميني للسفارة الأمريكية، نسخة من رسالة الخميني للسفارة الأمريكية.

(44) أشار المعارض الإيراني موسى الموسوي إلى أنَّ واشنطن التمست العنصر البراغماتي في النظام الإيراني الوليد، وهذا ما حثّها على عقد صفقات سرية عديدة مع الخميني، وكان الخميني قد حرص على استخدام نغمة الاحترام والمرونة تجاه الولايات المتحدة. يُنظر: كتاب "الثورة البائسة"، ص22، مرجع سابق.

(45) بل عمل الخميني على إسقاط حكم كارتر والتدخل في الانتخابات الأمريكية التي أدت إلى مجيء الجمهوري ريغان بدلاً من الرئيس الديمقراطي كارتر في العام 1980م؛ وذلك عن طريق تأخير الإفراج عن الرهائن الأمريكيين لحين استلام الرئيس الجديد ريغان، وقد كان أساس الصفقة التي تمت بين كارتر والخميني يتمثل بمراعاة المصالح الأمريكية من قبل الخميني، في مقابل سعي الأمريكان لتحييد الجيش ومنعه من التدخل لصالح الشاه، ويبدو أن إدارة كارتر عملت على احتواء خطر الثورة بهدف منع استغلال السوفييت لها، وكانت نتيجة المفاضلة بين الخيارات المتاحة لها دعم الخميني؛ إلا أن الخميني عملياً لم يفِ بوعوده للإدارة الأمريكية التي ساعدته، وأسهمت عملية احتجاز الرهائن لاحقاً وقيام الإدارة الديمقراطية بمحاولة عسكرية فاشلة لاستعادتهم في خسارة كارتر للانتخابات. وتكشف وثيقة استخباراتية أمريكية تعمُّد الخميني تأخير إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين حتى خسارة كارتر للانتخابات يُنظر: طهران تلاعبت بانتخابات الولايات المتحدة عام 1980 ـ الشرق الأوسط، 2017/2/5.

ويمكن الاستنتاج **أن مناخ الحرب الباردة** كان أحد أهم العوامل التي دعت إدارة كارتر لتفضيل احتواء الخميني ودعمه[46]؛ إذ كان جُلَّ الاهتمام الأمريكي منصبّاً في تلك الفترة حول الطريقة الأمثل التي يمكن أن تحول دون انتشار نفوذ الشيوعية في منطقة الشرق الأوسط، خاصةً في إيران، وهو ما جعل إدارة كارتر تتبنّى سياسة الحزام الأخضر[47]، في محاولةٍ منها لتطويق الاتحاد السوفيتي من الجنوب بالحركات الدينيّة المعادية للشيوعية[48]، لمنعها من التمدد والوصول للمياه الدافئة والنفط.

كما يُعتقد أن الخوف الأمريكي من مغّبة قطع العلاقات كاملة مع إيران بعد انتصار الثورة الإيرانية، وإمكانية خسارتهم الحليف الأبرز لهم في المنطقة، وما يمكن أن يؤدي إليه ذلك من توجّه إيران نحو المعسكر السوفيتي[49]، إلى جانب احتمال وقوع حرب أهلية وفوضى في عموم البلاد، مما يمكن أن يشكّل خطراً وتهديداً مباشراً على المصالح الاستراتيجية الأمريكية[50]؛ كل ذلك يبدو أنّه قد أسهم في اتخاذ الإدارة الأمريكية قرارها في رفع الدعم عن الشاه، والقيام بالتواصل مع الخميني والتفاوض معه، ومن ثم المساعدة في تسهيل عودته إلى إيران[51].

(46) تركز النظرية الواقعية البنيوية في العلاقات الدولية على تأثير النسق الدولي (أحادي أو ثنائي أو تعددي القطبية) على سلوك الدول في علاقاتها الدولية، وهو الأمر الذي كان من أكثر العوامل تأثيراً في السلوك الأمريكي تجاه الثورة الإيرانية. تُنظر فكرة عن الواقعية البنيوية: البروفسور جون ميرشايمر : الواقعية البنيوية.

(47) يعتمد مشروع "الحزام الأخضر" الذي وضعَه عام 1977 "زبيغنيو بريجنسكي" مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر على فكرة مفادها: احتواء الاتحاد السوفياتي والشيوعية من الجنوب من خلال دعم الحركات الإسلامية في المنطقة؛ حيث إن بريجنسكي جادل أن حالة "الانفراج السياسي" في ستّينات القرن الماضي سمحت للسوفييت بالحصول على موطئ قدم في الشرق الأوسط وأفريقيا، لذلك رأى أنه يجب إظهار العداء له، خاصة في الشرق الأوسط، وهو ما تمثُل بإطلاقه "نظرية الحزام الأخضر". تُنظر المقالة الصحفية:

We owe radical Islamist militancy to Brzezinski Hürriyet Daily News, .2017/05/27

(48) عملت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في منطقة الشرق الأوسط على منح التيارات الدينية فرصة النمو، بوصفها أفصل عدو للاتحاد السوفيتي والشيوعية، وهو ما كان واضحاً بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان؛ فقد قامت الولايات المتحدة بدعم الجماعات الإسلامية هناك، وبتقديم الأموال والمعدات العسكرية والتدريب العسكري لها، واستخدامها في مواجهة السوفييت 1978.

(49) لاسيما مع وجود حراك سياسي يساري داخل إيران؛ إذ قاد الانفتاح الذي شهدته إيران في بدايات الثورة إلى تحقيق هامش واسع من الحرية للحركات السياسة على مختلف توجهاتها، ولم تكن الحركة الماركسية طرفاً مستثنى من القاعدة. حيث إنَّ التيارات اليسارية الإيرانية الموالية للسوفييت قد أظهرت تحركات نشطة عقب اندلاع الثورة بهدف تحقيق شعاراتها، وتوظيف هذه الفرصة لتعزيز مكانتها على الساحة السياسة، وقد رأت هذه التيارات فرصة لتحقيق شعاراته المنادية بالكفاح ضد الإمبريالية والرأسمالية وبناء تفاهم وتقارب جديد مع الاتحاد السوفيتي. يُنظر: التيارات السياسية في إيران ـ فاطمة الصمادي ـ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013/03/13، ص28.

(50) خشي البيت الأبيض -كما يذكر الموسوي المعارض الإيراني- من حرب أهلية يكون لها آثار كبيرة على المصالح الاستراتيجية الأمريكية، خاصة مع وجود آلاف المستشارين الأمريكيين داخل إيران، إضافة إلى أنظمة الأسلحة المتطورة في إيران كطائرات f14، فضلاً عن موقع إيران في منطقة يتدفق فيها النفط كمصدر أساسي. مرجع سابق، وهو ما أشار إليه تقرير BBC أيضاً.

(51) يذكر المعارض الإيراني (موسى الموسوي) في كتابه "الثورة البائسة: "أنَّ من اهم العوامل التي أدّت إلى هزيمة الشاه وسقوطه هو السياسة الأمريكية الجديدة في تعاملها مع الشاه، التي جاءت بها إدارة كارتر الديمقراطية، حيث رأى المعارض الإيراني أنه من المستحيل سقوط الشاه بهذه السرعة والسهولة لو كانت السياسة الأمريكية تسانده؛ إذ إن آلاف المستشارين الأمريكيين كانوا يعملون في الجيش والسافاك والأجهزة الأخرى، كما أنهم كانوا يملكون القدرة والقوة على تحريك الجيش والسافاك لإخماد الثورة، لكنهم لم يفعلوا. وقد اعترف الشاه في مذكراته أن الأمريكان لم يفعلوا شيئاً لإنقاذه عن طريق مستشاريهم عندما عرفوا أن ورقته خاسرة، بل كانوا يرغبون بمغادرته البلاد. كتاب الثورة البائسة، ص19، مرجع سابق.

ثالثاً. تأثير الثورة الإيرانية على العلاقة مع كلٍّ من الولايات المتحدة و"إسرائيل": تصدير الثورة واصطدامها بالواقع السياسي:

شكّلت الثورة الإيرانية في العام 1979 م تحولاً سياسياً إقليمياً وحدَثاً تاريخيّاً استراتيجيّاً أشغل العالم، وما يزال؛ فلم تقتصر ارتداداتها على الجغرافية الإيرانية، بل تعدتّه لتطلق موجات طالت مختلف أرجاء العالم العربي والإسلامي؛ فقد تمّ تغيير أول دكتاتورية استبدادية موالية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط (الغني بالنفط) بنظام ثيوقراطي من خلال ثورة شعبية عارمة في غمرة الحرب الباردة، وهو ما سبّب حالة من الارتباك لدى كل من الإدارة الأمريكية والإسرائيلية على حدٍّ سواء[52]. ويبدو أنَّ مناخ الحرب الباردة المذكور أعلاه كان المهيمن الفعلي على أجواء الصراعات والتحالفات بين مختلف دول العالم. وبالتالي كان الهم الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية هو تجنُّب خسارة الحليف الأهم لها في منطقة الخليج العربي في غمار الصراع مع الشيوعية، لما لهذه المنطقة من أهميةٍ استراتيجيةٍ وجيوسياسية، وهو ما حاولته الإدارة الأمريكية من خلال قبول دعم الخميني، لكن ردود فعل الخميني بعد مجيئه للسلطة كانت مختلفة.

1.3. العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية بعد انتصار الثورة: أزمة الرهائن، وقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين:

على الرغم من انتصار الثورة الإيرانية وقدوم الخميني إلى سدّة الحكم؛ إلّا أنَّ الاتفاقيات والمعاهدات والعلاقات الإيرانية الأمريكية استمرت كسابق عهدها في زمن الشاه، وهو ما يفسّر بقاء آلاف الدبلوماسيين والمستشارين والموظفين الأمريكيين على رأس عملهم في الأراضي الإيرانية بعد سقوط الشاه[53]. وفي المقابل يبدو أنَّ المرحلة الحرجة التي كانت تمر بها إيران قد أجبرت الخميني على إبقاء العلاقات مع الولايات المتحدة ضمن إطار الترقب الفاحص لردود الفعل الأمريكي تجاه إسقاط حليفهم القديم، والحرص على عدم استفزازها بضرب مصالحها الاستراتيجية في إيران حتى تثبيته أركان النظام الجديد وإمساكه بخيوط الإدارة الإيرانية بالكامل[54].

(52) أشار الكاتب "تريتا بارزي" إلى أن الأيام التي عقبت انتصار الثورة الإيرانية وقدوم الخميني كانت عصيبة على "إسرائيل"، حيث بدأت بإجلاء رعاياها من طهران. كما أنَّ العديد من البعثات الإسرائيلية في إيران قد تعرضت للهجوم والخطف على يد أنصار الخميني. وقد عملت "إسرائيل" جاهدة على الاستمرار في التفاوض وإبقاء علاقاتها الودية السابقة مع إيران، إلا أن الرد جاء سلبياً من الحكومة الإيرانية الجديدة، حيث تم قطع العلاقات كاملة مع "إسرائيل"، بما في ذلك مبيعات النفط والأسلحة، وبذلك وصلت حقبة العلاقات الإسرائيلية الإيرانية إلى طريق مسدود. كتاب "حلف المصالح المشتركة ـ التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"، ص45.

(53) الثورة البائسة، ص103.

(54) وهو ما أشارت إليه الباحثة الأردنية (فاطمة الصمادي) في ورقتها البحثية حول العلاقة الإيرانية الأمريكية من أنَّ المرحلة التي تلت اندلاع الثورة الإيرانية كانت مرحلة الانتظار بالنسبة للخميني، وقد حرص على عدم قطع العلاقة كاملة مع الولايات المتحدة، مستدّلةً بذلك من تصريحات الخميني المتكررة في حديثه مع الصحفيين الأجانب حول طبيعة العلاقة مع واشنطن بعد رحيل الشاه؟ حيث أجاب الخميني في أحد المواقع: "أن هذه المسألة سيتم بحثها بعد رحيل الشاه وتشكيل الحكومة". تُنظر الورقة البحثية: "العلاقات الإيرانية الأمريكية، قطيعة لا تمنع الصفقات"، فاطمة الصمادي ـ منتدى العلاقات العربية والدولية، ص4.

لكن سرعان ما تحولت العلاقة بين الطرفين إلى علاقة عدائية دخلت مرحلة القطيعة، حين اضطرت إدارة كارتر الأمريكية لقطع كافة العلاقات الدبلوماسية مع طهران؛ وذلك بعد اقتحام مجموعة من الطلاب الإيرانيين السفارة الأمريكية عام 1979م واحتجاز 52عنصراً من موظفي ودبلوماسيي البعثة الأميركية لمدة 444 يوماً، وتحولها لاحقاً إلى محنة دولية عُرفت فيما بعد بـ"أزمة الرهائن". وقد أيّد الخميني عملية الاحتجاز مطالباً بإعادة الشاه لمحاكمته في إيران، واسترداد جميع الأموال التي أودعها الشاه في البنوك الأمريكية، والإفراج عن الأرصدة الإيرانية المجمّدة في البنوك الأمريكية[55]، لكن على الرغم من موت الشاه في تموز من العام 1980م فقد استمر احتجاز الرهائن بعد وفاته لأشهر، إلى أن تم التوقيع على اتفاقية الجزائر في العام 1981م، والإفراج رسمياً عن الرهائن في اليوم التالي.

مثّلت حادثة احتجاز الرهائن الدبلوماسيين نقطة فارقة في تاريخ العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية؛ فقد تحوّلت العلاقة بين البلدَين من علاقة ودّية يجمعها العديد من المصالح والاتفاقيات التعاونية المشتركة إلى علاقة عدائية تشوبها الاتهامات المتبادلة[56]، ويمكن تلخيص أهم الآثار السلبية التي جلبتها الحادثة لكلٍّ من إيران والولايات المتحدة في:

1) قطع الإدارة الأمريكية كافة الروابط الدبلوماسية مع طهران، ما تسبب تدريجيّاً بعزلتها عن محيطها الدولي.
2) تجميد أرصدة إيران البالغة 9 بلايين دولار في البنوك الأمريكية.
3) ضغوطات وعقوبات اقتصادية أمريكية ـ أوروبية مستمرة على إيران، ووقف المعاملات التجارية مع طهران.
4) وقف مبيعات الأسلحة وقطع الغيار الأمريكية إلى إيران[57].
5) لجوء إدارة كارتر إلى الحل العسكري بعد فشل جميع المفاوضات والمحاولات الدبلوماسية، وذلك بالقيام بعملية عسكرية نفذتها القوات المسلحة الأمريكية لتحرير الرهائن[58]. ويعتقد أنَّ فشل المهمة كان عاملاً

(55) إن المتتبع للتصريحات وللخطابات التي كان يدلي بها الخميني عقب عودته لإيران يتلمّس رؤية الخميني في طبيعة العلاقة القديمة بين الولايات المتحدة وطهران، والتي كان يراها "كعلاقة السيد بالعبد، ولذلك كان لابد من تغييرها لتصبح علاقة سليمة، وإذا لم يكن تغييرها متاحاً فلا حاجة لها". المرجع السابق، هامش رقم (54)، ص4.

(56) بدأ الخميني يستخدم تعابير لها أبعاد دينية في وصف الولايات المتحدة والغرب؛ واصفاً تلك الحكومات بالحكومات "الشيطانية" الكاذبة والمستبدة، ويُلاحظ أن التعابير التي كان يطلقها الخميني عند حديثه عن الولايات المتحدة كانت تحتوي بُعدَين أحدهما ديني والآخر وطني، كما كانت تعبوية مليئة بالتحقير للخصم. مثل: "الموت لأمريكا" و"أمريكا الشيطان الأكبر"، وفي المقابل ردّت الولايات المتحدة في العديد من المناسبات بوصفها إيران بـ"محور الشر". المرجع السابق، هامش رقم (54)، ص5.

(57) كتاب الثورة البائسة، ص108.

(58) سرعان ما أصبحت جهود كارتر لوضع حد لأزمة الرهائن إحدى أولوياته القصوى؛ فبعد أن شعر كارتر بالإحباط من الوتيرة البطيئة للدبلوماسية، وعلى الرغم من اعتراضات العديد من مستشاريه نفذت الولايات المتحدة عملية إنزال كبرى أطلقت عليها اسم "مخلب النسر" بهدف تحرير الرهائن الأمريكيين في طهران، حيث أرسلت واشنطن طائرات مروحية وطائرات نقل عسكرية ووحدة خاصة إلى صحراء "طبس" الواقعة شرق البلاد. إلا أن الأمور لم تسِرْ كما ينبغي، فقد تسببت عاصفة رملية في تعطل عدة طائرات هليكوبتر، وتسببت في اصطدام طائرة مروحية بطائرة شحن عسكرية ما أدى إلى اشتعال النار فيهما ومقتل 8 عسكريين أمريكيين. وعلّق حينها الخميني قائلاً: "إن الله قد أنعم على الحكومة الإسلامية بمعجزة العاصفة الرملية".
يُنظر على سبيل المثال التقرير الصادر عن وزارة الدفاع الأمريكية حول تفاصيل عملية "مخلب النسر":
Edward T. Russell ,Crisis in Iran: Operation EAGLE CLAW - Department of Defense.

رئيسياً أسهم بشكل كبير في هدم العلاقات وتعزيز حالة القطيعة بين البلدين، بالإضافة إلى كونه سبباً رئيساً من أسباب خسارة الرئيس كارتر لصالح رونالد ريغان في الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 1981م[59].

ويبدو أنَّ الخميني من خلال افتعاله أزمة الرهائن ظنَّ أنَّ الولايات المتحدة الأمريكيّة ستخضع لطلبه بتسليم وإعادة الشاه "عدوّ الشعب الإيراني" إلى إيران لمحاكمته، وهو ما يعني فعليّاً تحقيق نصرٍ استراتيجيٍّ له، وإظهاره بمظهر المنتصر على الإرادة الأمريكية "التسلطية"، وهذا بدوره ربما يحقّق جزءاً من تطلعاته المستقبليّة في قيادة العالم الإسلامي، ليسهم في تحول إيران إلى الهيمنة الإقليمية من خلال إظهار العداوة للولايات المتحدة وإخضاعها، والوقوف في وجه "مخطّطاتها التخريبيّة" في الشرق الأوسط[60]. يُضاف إلى ما سبق أن اتساع الخلاف والمواجهة مع الولايات المتحدة قد يمكّن طهران من تعزيز جبهتها الداخلية؛ سواءٌ في حشد أنصارها أو لجم معارضيها، كما أنَّ طلب إيران استرداد أموالها المحتجزة في الخارج مقابل إطلاق سراح الرهائن يدلُّ في الغالب على أنَّ طهران كانت تعاني أزمةً اقتصاديةً حقيقيةً قادرةً على تقويض النظام الإيراني الجديد قبل تجذّره، وهو ما يعني انهيار الحلم الخمينيِّ قبل بدئه.

فيمكن القول: إن ما سبق كان محاولة لاستعراض أبرز التأثيرات المباشرة للثورة الإيرانية على العلاقات الإيرانية الأمريكية – الإسرائيلية، على أن يتم استكمال استعراض التأثيرات في الجزء اللاحق.

(59) أصدر " Sick Gary" المسؤول عن مكتب إيران في مجلس الأمن القومي الأمريكي في عهد إدارة كارتر كتاباً أثار ضجةً في الأوساط السياسية الأمريكية عام 1991؛ حيث اتهم أعضاء حملة رونالد ريغان عام 1980 م، وهي حملة رشح فيها ريغان لمنافسة كارتر، وكان كارتر يعاني من أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران؛ فحسب رواية"sick" فإن مدير إدارة حملة ريغان آنذاك "وليم كيسي" الذي أصبح فيما بعد مديراً لجهاز المخابرات المركزية الأمريكية قد التقى مع الحكومة الإيرانية في مدريد سرّاً، حيث تمت الصفقة على عدم إطلاق الرهائن إلا بعد الانتخابات الرئاسية، وانتهى السباق الرئاسي بفوز ريغان وخسارة كارتر . يُنظر:

Surprise October America's Hostages in Iran and the Election of Ronald Reagan .Sick Gary.141

يُنظر أيضاً التقرير الصحفي:

Op-Ed: Some 'October surprise' conspiracies turn out to be true - Los Angeles Times

(60) وهو ما ينسجم مع الشعارات الثورية الإيرانية، كشعار "لا شرقية ولا غربية، جمهورية إسلامية"، الذي يرفض سيطرة القوى العظمى سواءٌ أكانت شرقية (كالاتحاد السوفيتي) أو غربية (كالولايات المتحدة)، وبالنسبة للشعب الإيراني فإن اقتحام السفارة الأمريكية التي أُطلق عليها اسم "عش الجواسيس" كان حادثة تقارب الأسطورة التي يُعاد إنتاجها في كل مناسبة. وهو "ثورة ثانية وأكبر من الثورة الأولى" كما يقول الخميني، وأول بيان استقلال سياسي، وهو "رمز شجاعة الشباب الثوري وجرأتهم في مواجهة جبروت الولايات المتحدة؛ لأن احتلال وكر الجواسيس أذلّ الولايات المتحدة" وفقاً لتعابير علي خامنئي. يُنظر: التيارات السياسية في إيران ـ فاطمة الصمادي ـ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. مرجع سابق، ص50.

الخاتمة:

تميّزت العلاقات الإيرانية - الأمريكية[61] بوجود العديد من المحددات التي أطّرت تلك العلاقات؛ حيث يلاحظ أنَّ الانقلاب الأمريكي البريطاني ضد حكومة (محمد مصدق) الإيرانية المنتخبة في العام 1953 م بقي حاضراً في التفكير الإيراني عقب اندلاع الثورة، وهو ما أسهم في تشكيل النظرة الإيرانية العامة في تلك الحقبة تجاه السياسات الأمريكية في المنطقة، واعتبارها خطراً على الثورة الإيرانية على الرغم من الدعم الضمني الفعلي المؤثر الذي أسهمت به الإدارة الأمريكية في نجاح ثورة الخميني.

كما تتضح دوافع تفضيل إدارة كارتر الأمريكية احتواء الخميني ودعمه، بدلاً من الوقوف إلى جانب الشاه (الحليف الأبرز للولايات المتحدة والغرب في المنطقة)، والتي يمكن تلخيصها بضعف أوراق الشاه وشرعيته الداخلية بسبب تعاطيه الفردي والمزاجي مع شؤون الدولة، إلى جانب طموحاته غير المتناسبة مع شرعيته وقدرات بلاده، والذي ساهم كما يبدو في إضعاف أوراقه لدى الأمريكان والإسرائيلين الذين أخذوا ينظرون إليه كمصاب بجنون العظمة، وجعلهم يفكّرون جديّاً في دعم البديل الذي ظهر من خلال الثورة الإيرانية؛ والتخوف من احتمال وقوع حرب أهلية وفوضى في عموم البلاد، مما يشكّل خطراً وتهديداً مباشراً على المصالح الاستراتيجية الأمريكية في إيران، وسط هيمنة مناخ الحرب الباردة على أجواء الصراعات والتحالفات الدولية، والخوف الأمريكي من مغبّة قطع العلاقات كاملة مع إيران بعد انتصار الثورة الإيرانية، وما يمكن أن يؤديه ذلك إلى احتمال توجهها نحو الاتحاد السوفيتي. وهو – تأثير مناخ الحرب الباردة – كما يبدو كان العامل الأبرز في التأثير على السلوك الأمريكي الذي نحا نحو احتواء الثورة الإيرانية بدلاً من دعم الشاه.

وعلى صعيد آخر بقي الخوف الإيراني ـ الإسرائيلي المشترك من المحيط العربي المعادي هو محور العلاقة البراغماتية التي جمعت طهران وتل أبيب قبل الثورة وبعدها؛ إذ إنَ الخطر السوفيتي والتهديد العربي، خاصةً القوّة العراقية المتنامية، كان هو المسيطر على مخيال صانع القرار الإيراني في بلورة سياسته الخارجية، وفي المقابل ظلّت "إسرائيل" تعاني من إشكالية وقوعها تحت تهديد المحيط العربي في نطاقها الجغرافيّ الضيق، وهذا ما جعلها تبحث عن ثقلٍ إقليميٍّ موازٍ للعرب، وهو ما وجدته في إيران؛ حيث إنَّ الموقع الاستراتيجي الذي تتمتّع به إيران، وروابطها الاقتصادية والعسكرية القديمة، بالإضافة إلى ثروتها النفطية ومعاداتها التقليدية للعراق وللاتحاد السوفيتي (الداعم الأكبر للدول العربية في مواجهتها مع "إسرائيل")[62] أدت مختلف العوامل السابقة إلى زيادة حاجة

(61) وإن كان للعلاقة بين إيران و"إسرائيل" مسار خاص إلا أنها تتأثر بشكل أساسي بالعلاقات الأمريكية الإيرانية، بحكم التحالف القوي بين الولايات المتحدة و"إسرائيل" في المنطقة.

(62) يشار إلى أنَّ الأطماع الإيرانية ونياتها تجاه العراق كانت واضحة بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام 1921م، إذ لم تعترف إيران بهذه الدولة الحديثة إلا بعد سبعة أعوام، وسلكت كثيراً من طرق الابتزاز في محاولة لتأسيس موطئ قدم لها فيها تحت ذريعة حماية حقوق الجالية الإيرانية، كما أنَّ الخلاف على قضية شط العرب مع العراق كان من الخلافات المتكررة والمستمرة بين البلدين. يُنظر: العرب وإيران، مراجعة في التاريخ والسياسة، النفوذ الإيراني في العراق، التحديات والأبعاد ـ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012، ص148.

"إسرائيل" لإيران والتعاون معها [63]، كما إنَّ "إسرائيل" وعلى الرغم من كسرها طوق العداوة العربية المحيطة بها من خلال إبرام معاهدة السلام مع مصر[64]، الدولة العربية الأقوى والأكثر كثافةً سكانيّة؛ إلا أنَّ تصاعد "الخطر العراقي" من الجهة الشرقية بات الخطر الأكبر على أمنها القومي، وهو ما أجبر الطرفين على العودة بعد انتصار الثورة إلى مقاعد المصالح المشتركة[65].

وفي هذا السياق يلاحظ أن أزمة الرهائن التي افتعلتها إيران كانت نقطة التحول في العلاقات الإيرانية الأمريكية لتدفعها نحو القطيعة والتوتر، ويرجّح أنَّ الخميني أراد من خلالها الضغط على الأمريكان لتسليم الشاه وإعادته إلى إيران لمحاكمته، مما قد يظهر الخميني بمظهر المنتصر على الإرادة الأمريكية "التسلطية" بأعين شعوب المنطقة العربية (التي عانت من السياسات الأمريكية الداعمة لـ"إسرائيل")، وهذا بدوره ربما يحقّق جزءاً من تطلعاته المستقبليّة في قيادة العالم الإسلامي وهيمنة إيران الإقليمية من خلال إظهار العداوة للولايات المتحدة وإخضاعها والوقوف في وجه "مخطّطاتها التخريبيّة" في الشرق الأوسط.

وبعد الانتهاء من دراسة الأحداث التاريخية وتحليل العلاقات الإيرانية الأمريكية الإسرائيلية، بدءاً من انتهاء الحرب العالمية الثانية، مروراً بحكم الشاه، وانتهاءً بانتصار الثورة الإيرانية وصعود الخميني إلى سدّة الحكم؛ يجدر بنا الوقوف على **منهج "تصدير الثورة"** الذي تبنّاه الخميني سبيلاً للتوسع إقليميّاً إلى الدول المجاورة، ولنشر إيديولوجيته السياسية، والوقوف على محددات العلاقة الإيرانية مع كل من "إسرائيل" والولايات المتحدة في ظل حكم الخميني وبعده، وهذا ما سنخصص له الإصدار الثاني من هذه السلسلة.

كما يحتل إقليم "الهلال الخصيب" الذي يتمثل بالعراق وسورية وبلاد الشام عموماً (وبوابته العراق) المرتبة الثانية لنزوع إيران التاريخي للتمدد خلال الفترة من 3200 ق.م إلى الآن؛ إذ بلغ عدد مرات الانجذاب الجيواستراتيجي نحو الإقليم 13مرة. يُنظر: بنية القوة الإيرانية وآفاقها - مركز الجزيرة للدراسات. ومما يحسن ذكره هنا أن المدرسة الواقعية تؤكد استمرار السياسة الخارجية لأي دولة (وهي هنا حالة النفوذ والتمدد لإيران باتجاه منطقة الهلال الخصيب تحديداً) بغضّ النظر عن السلطة السياسية فيها، باعتبار أن ما يحدث من ثورات أو انقلابات في الأنظمة إنما يؤثر وفق النظرية الواقعية الجديدة في الدوافع والتصورات، لا في المسارات. يُنظر: الواقعية الإيرانية والاتفاق النووي بحث في الدوافع والمسارات - رؤية تركية - دورية محكمة في الشؤون التركية والدولية.

(63) وهو ما يفسّر ربما الجهود الإسرائيلية الحثيثة لإنقاذ النظام البهلوي؛ حيث إنَّ تل أبيب كانت منقسمةً في تلك الفترة بين أولئك الذين يريدون توجيه ضربةٍ معاكسة لإنقاذ النظام البهلوي كـ"أربيل شارون" الذي اقترح إرسال مظلّيين إسرائيليين لإنقاذ الشاه، وأولئك الذين اعتقدوا أن النظام الإيراني الجديد سينهار سريعاً، وستحل محلّه قيادة تتبنّى الحقائق الجيوسياسية لإيران وتعترف بحاجتها لإسرائيل. يُنظر: كتاب "حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"؛ مستنداً إلى كتاب:

The pragmatic entente: Israeli and Iranian relations, 1948_1988, Sohrab sobhani, 145.

(64) تُعد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل عام 1979 أول خرق عربي للموقف من دولة "إسرائيل"، وتعهدت بموجبها الدولتان بإنهاء حالة الحرب وإقامة علاقات ودية بينهما تمهيداً لتسوية، كما انسحبت "إسرائيل" من سيناء التي احتلتها عام 1967. يُنظر: معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية... أولى المعاهدات. الجزيرة، 3 /2004/10.

(65) سيتم الإضاءة على هذه العودة في التقرير اللاحق.


الحوار
مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center
sydialogue
www.sydialogue.com